وتظهرها قيمة صادقة سوى قوة الناقد نفسه ، وقوة الناقد هى ما يبطن به سطوره من الإخلاص فى النية والمحبة لمهنته والغيرة على موضوعه ودقة الذوق ورقة الشعور وتيقظ الفكر ، وما أوتيه بعد ذلك من مقدرة البيان لإيصال ما يقوله إلى عقل القارىء وقلبه . . فالناقد الذى توفرت له مثل هذه الصفات لا يعدم أناسا ينضوون تحت لوائه ويعملون بمشيئته فيستحبون ما يحب ، ويستقبحون ما يقبح وهو وراء منضدته سلطان تأتمر بأمره وتتمذهب بمذهبه ، وتتحلى بحلاه وتتذوق بذوقه ألوف من الناس إذا طرق سبيلا سلكوه وإذا صب نقمته على صنم حطموه ، وإذا أقام لهم إلها عبدوه وخروا له ، وسبحوه .

«غير أن الناقدين طبقات كما أن الشعراء والكتاب طبقات ، فما يقال فى الواحد منهم لا يصلح أن يقال فى كلها . إلا أن هناك خلة لا يكون الناقد ناقدًا إذا تجرد منها ، وهى قوة التمييز الفطرية ، تلك القوة التى توجد لنفسها قواعد ولا توجدها القواعد ، والتى تبتدع لنفسها مقاييس وموازين ولا تبتدعها المقاييس والموازين . فالناقد الذى ينقد حسب القواعد التى وضعها سواه لا ينفع نفسه ولا منقوده ولا الأدب بشىء ؛ إذ لو كانت لنا قواعد ثابتة لتمييز الجميل من الشنيع والصحيح من الفاسد لما كان من حاجة إلى النقد والناقدين ، بل كان من السهل على كل قارىء أن يأخذ تلك القواعد ويطبق عليها ما يقرأه . لكننا فى حاجة إلى الناقدين لأن أذواق السواد الأعظم منا مشوهة بخرافات رضعناها من ثدى أمسنا وترهات اقتبلناها من كف يومنا ، فالناقد الذى يقدر أن ينتشلنا من خرافات أمسنا وترهات يومنا والذى يضع لنا محجة لندركها فى الغد هو الرائد الذى سنتبعه والحادى الذى سنسير على حدوده» .